

عاصي الرحباني... بعدك على بالي

شهادات

إنه العبقري والمرجع والمعياري

فايف، حمصي *

«هيفتك حمار بالألوان»، أولى العبارات الحميمة التي توجه بها لي عاصي، فكسر بسخريته المحببة هذه، حاجز الرهبة بيني وبينه يوم استضافني للمرة الأولى للمبيت في منزله.

«مات المرجع المعيار» آخر عبارة سمعتها عن عاصي. قالها لي مروان منصور الرحباني، يوم وفاة عاصي سنة 1986. ثم شرح قائلاً: «بكرا شوف كيف رح يفرخو المطربين وتصير القيم الفنية مسخرة. راح المرجع».

وما بين العبارتين، امتدت رحلة معرفتي بعاصي لسنوات قليلة، لكنها أغنت تجربتي الإنسانية والفنية. كما تخللتها محطات ومواقف أغنت معرفتي بسر عبقرية هذه الشخصية الفذة.

1- في أول ليلة من فترة استضافتي في منزل عاصي، دعاني مماًزحاً، قبل العشاء، لدخول غرفة نومه لنفتح خزانة ملبسه كي يمتحنني بألوان ربطات العنق التي كان يحتفظ منها بالعشرات مرتبة وفق ألوانها. فسألني «ما لون هذه الكرافات؟». وكانت زرقاء، فقلت: «زرقاء». ثم سألني عن التي بجانبها، وكانت زرقاء، فقلت: «أيضاً زرقاء». قال: «لا»، ثم أغلق الخزانة، وقال: «هيفتك حمار بالألوان، كل أزرق وله اسم، إمسي ناكل هلق، خلينا نشوف ذوقك بالأكل، الألوان مثل النغمات تتشابه، لكن لكل واحدة اسم». فقلت في نفسي «العبقري يجب أن يعرف أسماء الألوان».

2- صباح اليوم التالي وبعدما جهزنا للخروج من المنزل، قال لي: «لويين هلق؟». وبما أنني كنت عارفاً بموعد لنا في مقهى «الحلبي»، قلت: «عالحلبي؟». قال: «لا، ما حزرت، بالاول عند إمسي». دخل عند أمه، فقبل يدها وسأل خاطرها، فدعت له بالتوفيق وكولد صغير طلب منها السماح بالمغادرة. في السيارة، بعد خروجنا، نظر إلي وقال، كأنه يجيب على نظراتي المستهزمة: «الفنان، يا فايق، ما بيكبر، أنا بحس الناس كلها أكبر مني». فقلت في نفسي «العبقري يجب أن يحتفظ بالولد في داخله».

3- ذات يوم، مر بنا شخص سلم على عاصي بحرارة. وبعد حوار قصير، مد يده لجيبه وناولته عشر ليرات، فأنصرف الرجل، قلت له لماذا أعطته عشر ليرات وهو لم يطلب، قال: «أحسست أنه بحاجة لها وهو قد أخذها بدون تردد، ما بدو يذل نفسه، المال ليخدمنا مش لنخدمه». فقلت في نفسي «العبقري يجب أن يكون كريماً ولا يسمح للمال بإذلاله».

4- أثناء زهابنا لقضاء ليلة الميلاد عند شقيقه الياس في النقاش سنة 1981، أوقفنا حاجز أممي تابع لقوى الأمر الواقع حينها، والتي كانت تتعاون مع العدو الإسرائيلي. تفحص العنصر الأممي الشاب وجوهنا، ثم طلب تذكرة هوية عاصي، فقلت له مستغرباً: «هذا عاصي الرحباني». فأجابني العنصر بعصبية: «بدي هويته، مين ما كان يكون». ناوله عاصي بطاقته قائلاً: «خود يا إبنني»، تفحص العنصر البطاقة، ثم أعادها بعصبية. بعدما غادرنا الحاجز، قال عاصي، ساخراً: «زُمتنا.. طلع ما بيعرفني». فقلت في نفسي: «العبقري هو من يسخر من شهرته».

5- خلال دعوة للعشاء مع السفير الليبي، آنذاك، السيد عبد القادر غوقة، قال الأخير إن الأخ القذافي يرغب بدعوة الأخوين رحباني لزيارة ليبيا. سأل عاصي أخاه منصور: «شو قال؟». أجابه: «دعوة لزيارة ليبيا من الأخ معمر». قال عاصي: «بروح.. شرط تكون تذكرة سفر ذهاب وإياب». فقلت في نفسي «العبقري لا يامن لأهل السياسة».

6- خلال الاجتياح الإسرائيلي لبيروت وكنت في شارع الحمراء، اتصل بي منصور قائلاً: «عرفت شي عن زياد؟ عاصي رح يخوت، قال صار معركة تحت بيت زياد، الله بخليك، روح اطمن على زياد وخبرني، عاصي حاكمو نوبة قلق». وكنت أعرف هذا القلق، فذات ليلة أيقظني من نومي صارخاً: «يا فايق، بدن يحبسوني». وظل يردد هذا حتى اتصلت بمنصور الذي قال لي: «اعطيني باه وروح نام، حاكمو نوبة قلق، فيروز مسافرة الليلة وهو يخاف من الطيارة». فقلت في نفسي: «العبقري

وطن رسمته أغنية

سمير الصايغ *

الظاهرة الرحبانية الأكثر إثارة ليست في الاخوين وفيروز، بل في ارتباط الأغنية الرحبانية بلبنان كوطن، أي ارتباط الفن سواء كان شعراً أو صوتاً أو غناء أو موسيقى، بالصفات والخصائص الوطنية والقومية. استطاع عاصي والرحبانية تحقيق أغنية لبنانية. لها صفاتها الخاصة وتمتاز عن الأغنية المصرية، والأغنية البدوية، واستطاع في الوقت نفسه أن يرسم عبر هذه الأغنية وهذا الشعر، مع صوت فيروز، صفات وخصائص لبنان كوطن. المثير هنا هو أن اللبنانيين والكثير من العرب آمنوا وصدقوا وانتموا إلى لبنان الوطن الرحباني الشعري والفني أكثر بكثير من إيمانهم وانتمائهم إلى لبنان الوطن التاريخي. في الحرب الأهلية، انهزم الوطن التاريخي، واضطربت ظاهرة الأخوين، لكن لبنان كما رسمه عاصي والرحبانية وغنته فيروز لا يزال سابعاً كقطعة من السماء في فضاء هذا الشرق.

* تشكيلتي وشاعر لبناني

بين الوعي... واللاوعي

رفعت طربيه *

عاصي الرحباني في مطعم «الحلبي» في أنطلياس. كان يجلس محاطاً بشلة من الأصحاب والرفاق. الجميع يؤكد أن عاصي اليوم يتعافى، بأعجوبة من جلطة دماغية كانت قد ألمت به. عاصي يحب أن يلتقي الناس، يعرفهم أو لا يعرفهم. لم يكن يعرفني ولا تقابلنا معاً سابقاً. هناك في مطعم «الحلبي» التقيت به أكثر من مرة، وكنت دائماً برفقة صديق مشترك، هو ريمون جبارة. همّ عاصي أن نعثر عن جملة مفيدة واحدة عن مضمون عمل مسرحي كامل، وإذا الأمر لم يكن كذلك، يقول العمل لا يستحق الاهتمام. الحاجة كانت إيصال العمل ببساطة إلى جميع الناس. مرة قلت له: «أستاذ عاصي، قرأت في كواليس مسرح الكازينو رأياً لك معلقاً على الحادث».

يقول: «الفن ابن الوعي»

- عاصي: «نعم، وأنت ما رأيك؟»

- رفعت: «الفن ابن اللاوعي».

صفت عاصي وذهب بعيداً، استدرك الأمر سامي عطية، وغيّر الموضوع. لم أكن أعلم أن عاصي بوضع صحي يتطلب عدم إجهاد نفسه بمجهود فكري. وعندما هممنا بالمغادرة صافحته مودعاً، شدّ على يدي وقال لي: «طرح السؤال ولم تلق الجواب... اجلس جنبني».

جلست. قال: «معك حق الفن ابن اللاوعي. الفن عود إلى ملعب الطفولة، إلى أشياء تحركنا، تأخذنا إلى مناطق تدهشنا. قصة كواليس الكازينو أقصد بها أنه على الطريق أثناء المشوار الفني، قد يصيب الفن ابن الوعي. المناظرة والإطلاع، علينا أن نحترمهما. هناك فارق كبير بين أنك تعرف وتعمل في الفن، وبين أنك جاهل وتعمل في الفن. الشعر، الفلسفة، اللاهوت، العلوم، وكافة المعرفة تساهم في أن تكون فنانياً غير شكل».

* ممثل لبناني - من كتاب قيد

التحضير بعنوان مبدئي: «كلمات،

كلمات، كلمات، لا أعرف شيئاً»

أوقفنا حاجز لقوى الأمر الواقع، التي كانت تحارب المشروع الإسرائيلي، والذي كان يقفل معبر المتحف، ولم يسمح بمواكبة النعش إلا لشخص واحد. ولما قلت لمسؤول الحاجز: «هذا عاصي الرحباني». أجاب: «ممنوع.. مين ما كان يكون». قلت في نفسي: «العبقري هو من يُغتال بعد موته». واليوم وبعد ثلاثين عاماً من رحيل عاصي، وبعدما امتزجت الألوان فكثرت «الحمير» واختلطت علينا الأنغام فكثرت الزعيق، أقول: «نعم يا مروان، صار كل ديك صياح مرجعاً».

واليوم، وبعدما انتقل عناصر الحواجز الأمنية لمواقع في السلطة، أتساءل من يحمي الولد العبقري، الساخر، الكريم، المحب، القلق، الذي كان يعرف عدوه، من جماعة (مين ما كان يكون)؟ كان عاصي يردد: «الموت قرار يتخذه من ملّ من الصغائر وقرر أن يتوجه نحو الكبير».

* ممثل ومخرج مسرحي لبناني

